الموعود

١٩

رجب ١٤٤٧هـ
كانون الثاني ٢٠٢٦م

مجلة علمية تخصصية تصدر عن
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

معالمُ القضيَّةِ المهدويَّةِ في القرآنِ
السيد محمد حسين العميدي

الأحلام وحجيَّتها في العقيدة المهدوية
السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

هدم المساجد في زمن الظهور بين المشروعية والمنع
الشيخ كاظم القره غولي

المنهجية العامة للأجوبة المهدوية - فذلكة عامة
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

دور الأئمةِ المعصومين عليهم السلام في تحصينِ العقيدةِ المهدويةِ
- تربية الأصحابِ والأتباع
- نماذجٌ تاريخية في الاقتداء والاسترشاد
مرتضى علي الحلّي

تصنيف المدَّعين للوكالة ونقد رأي أحمد الكاتب
نعمت الله صفري فروشاني - حسين قاضي خاني
ترجمة: علاء الزبيدي

توضيح الإجابات
- رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله
في نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي (الحلقة الرابعة)
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

معالِمُ القضيَّةِ المهدويَّةِ في القرآنِ

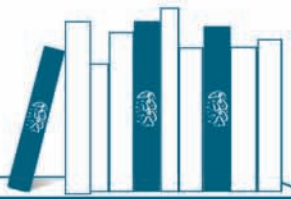

السيد محمد حسين العميدي

يتكوَّن هذا البحثُ من مقدّمةٍ وثلاثةِ فُصولٍ:

المقدّمةُ:

نستعرضُ فيها جملةً من مُحدّداتِ البحثِ، وهي علىٰ النحو الآتي:

الأمرُ الأوَّلُ: موضوعُ البحثِ:

يتناولُ هذا البحثُ القضيَّةَ المهدويَّةَ التي ينبغي التمييزُ بينها وبين قضيَّةِ الإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه، فالقضيَّةُ المهدويَّةُ تدورُ حول ظهورِ شخصيَّةٍ من وُلدِ فاطمةَ عليها السلام، يُواطِئُ اسمُها اسمَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ولقبُها (المهديُّ)، في آخرِ الزمانِ، لتملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً بعد أن مُلِئت ظلماً وجوراً.

أمَّا قضيَّةُ الإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه فهي ترتبطُ بشخصهِ تحديداً، وتشخّصُهُ كابنٍ للإمامِ الحسنِ العسكريِّ عليهما السلام، وتدخلُ فيها مسألةُ الغيبةِ والولادةِ، وفيها رأيان معروفان:

الرأيُ الأوَّلُ: وهو رأيُ أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام وأتباعِهم، أنَّ المهديَّ عليه السلام وُلدَ بالفعل، وله غيبةٌ قبلَ ظهورِهِ، وهو الوصيُّ الثاني عشر للنبيِّ صلى الله عليه وآله.

الرأيُ الثاني: وهو المنتشرُ بين جمهورِ المسلمين، ويرىٰ أنَّه سيظهرُ في آخرِ الزمانِ دون الخوضِ في مسألةِ ولادتِهِ وغيبتِهِ، ممّا يُفهمُ منهُ أنّه يُولَدُ في زمنِ ظهورِهِ، إذ لا يُحتملُ عندهم امتدادُ عمرِهِ من زمنِ ولادتِهِ إلىٰ وقتِ ظهورِهِ.

وعليهِ، فرؤيةُ الإمامية (أعزَّهم اللهُ تعالىٰ) أخصُّ نطاقاً من حيثُ التفصيل، لكنَّها أعمقُ من الرؤيةِ العامّةِ، ولا تعارضَ بينهما؛ لأنَّ المقيَّد لا يُنافي المطلق.

نعم، وردَ في بعضِ رواياتِ الجمهورِ ما يُفهَمُ منه أنَّ اسمَ والدِ المهديِّ يُواطِئُ اسمَ والدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، وهذه الزيادةُ غيرُ ثابتةٍ، وقد ناقشها كثيرٌ من باحثي مدرسةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، ولا غرض لنا في التعرَّض لها هنا.

وإذاً، تتفرّعُ عن هذه القضيَّة ثلاثُ مسائلَ رئيسة:

١. الأولىٰ مسألة الإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه: وهي الخاصَّةُ بتشخيصِ شخصيَّته، بوصفِه الحُجّةَ ابنَ الإمامِ الحسنِ العسكريِّ عليه السلام، وهذه المسألة تستند إلىٰ مسألة أعمّ منها فتتفرَّع عنها، هي مسألة الإمامة العامَّة، ويعتمد فيها علىٰ ما روي عن المعصومين عليهم السلام من أنَّ إمامتهم تمتد إلىٰ اثني عشر إماماً، تكمل عدَّتهم بهم.

٢. المسألة الثانية: هي مسألة الغيبةِ والولادةِ، والمظاهر الخاصَّة بشخصه الشريف، ويستند فيها إلىٰ المسألة الأولىٰ أوَّلاً، وإلىٰ ما روي في ولادة الإمام، وبعض أخباره التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام، لا سيما ما روي عن والده عليه السلام، ثم ما روي عن وكلائه الثقات المأمونين.

٣. المسألة الثالثة: المهدويّةُ حسبَ الرؤيةِ العامّةِ: تتناولُ جوانبَ الظهورِ وإقامةِ العدلِ دون التعرُّضِ إلىٰ الخصوصيّاتِ المرتبطةِ بهويّةِ المهديِّ كثيراً.

وسيُركِّز البحثُ علىٰ القضيّةِ المهدويّةِ العامّةِ في القرآنِ الكريم، والتي يمكنُ أنْ تكون مدخلاً شرعياً للوصول إلىٰ المعالمِ الخاصَّةِ بشخصيّةِ المهديِّ عجل الله فرجه، مع

الإشارةِ إلىٰ أنَّ جوهرَ الفرقِ بين الرؤيتَين - العامة والخاصة - يتمثَّلُ في مسألةِ الغيبةِ بعدَ الولادةِ، وهي ممّا تُثبته الرواياتُ وإنْ لم يُصرِّحْ بها ظاهرُ القرآنِ.

فإذا تَمَّ بيانُ شأنِ المهدويّةِ في النصِّ القرآنيِّ، أمكنَ أن يُمهِّدَ ذلك للكشفِ عن شخصيَّةِ المهديِّ عجل الله فرجه فيه، ولكنْ علىٰ نحوٍ غيرِ مباشرٍ، من خلال العناوينِ العامّةِ التي تبيِّن صفاته، ويُتركُ تحديدُ هويّتِهِ الكاملةِ للنصوصِ الروائيّةِ، التي وردَ فيها اسمُهُ ولقبُهُ ونسبُهُ، بل وذُكرَت بعضُ ملامحِه البدنيّةِ أيضاً.

الأمرُ الثَّاني: تعيينُ المجالِ الخاصِّ بالبحثِ في القضيَّةِ المهدويَّةِ:

لا شكَّ في أنَّ القضيَّةَ المهدويَّةَ تُعَدُّ من مسائلِ علمِ الكلامِ، فهي إمَّا فرعٌ من مسألةِ الإمامةِ، من حيثُ إنَّها تتعلَّقُ بالإمامِ الثاني عشرَ عليه السلام، أو هي قضيَّةٌ مستقلَّةٌ تُعَدُّ من مباحثِ المعادِ بالمعنىٰ الأوسع، باعتبارِ أنَّ للساعةِ أشراطاً، كما في قولِهِ تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذا جاءَتْهُمْ ذِكْراهُمْ﴾ (محمد: ١٨)، وهي - أي القضية المهدوية - من أشراطها.

كما يمكنُ إدراجُها ضمنَ عنوانِ الإيمانِ بما ثبتَ عن النبيِّ صلى الله عليه وآله، فتكون من تطبيقاتِ مسألةِ النبوّةِ في فرعِ وجوبِ طاعةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله.

وعلىٰ أيِّ حالٍ، فإنَّ مستندَ هذه المسألةِ هو نفسُ مستنداتِ سائرِ مسائلِ علمِ الكلامِ، وهي: العقلُ، والقرآن، والسنّةُ، والإجماع.

وبعد تواترِ الأحاديثِ المرتبطةِ بالقضيّةِ المهدويّةِ العامّةِ، تحققَ إجماعُ الأُمّةِ الإسلاميّةِ عليها، فلا موجبَ بعد ذلكَ لإطالةِ الكلامِ في إثباتِ أصلِ هذه المسألةِ من تلك الجهةِ، بل إنَّ موضعَ الكلامِ هو في الخصوصيّةِ الزائدةِ علىٰ القضيّةِ العامّةِ، وتلك الزيادةُ ليست سوىٰ غيبةِ الإمامِ بعدَ ولادتِهِ، وسببِ تلك الغيبة، وجعله إماماً علىٰ صغرِ سنه، وما شابه ذلك.

وبناءً عليه، فإنَّ موقعَ النصوصِ القرآنيّةِ بالنسبةِ إلىٰ القضيّةِ العامّةِ هو موقعُ التأييدِ وعدمِ التنافي، ولا يلزمُ - من جهةِ الحجّيّةِ - أن يتضمَّنَ القرآنُ ما يفوقُ ذلكَ لإثباتِ أصلِ القضيّةِ، إذ تكفي فيها ثبوتُ السُنَّةِ المتواترةِ، ووجوبُ طاعةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩)، وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

والشاهدُ علىٰ ذلك هو إجماعُ الأُمَّةِ علىٰ القضيّةِ المهدويّةِ العامّةِ، وعدمُ توقّفِهم في الإيمانِ بها علىٰ وجودِ نصٍّ قرآنيٍّ صريحٍ في تشخيص شخصه عجل الله فرجه.

الأمرُ الثَّالثُ: موقعُ القضيَّةِ المهدويَّةِ في أُصولِ القرآنِ:

قد يُقالُ: إنَّ هذه القضيَّةَ إذا لم يكنْ مستندُها هو القرآن، وكانَ هوَ السُّنَّة، فما الوجهُ في التَّعرُّضِ لهذه القضيَّةِ من حيثُ البحث القرآنيّ؟

والجوابُ: إنَّنا لم نقل: إنَّ أصلها ليس قرآنياً، بل قلنا: إنَّ تشخيص شخصية المهدي عجل الله فرجه إنَّما يكون عن طريق السُنَّة، أمَّا أصلها فهو موجود في القرآن بالوعد الإلهي الخاص بالمؤمنين، والدليل العقلي علىٰ أنَّ ذلك لا يتم إلَّا علىٰ يد المعصوم، كما سيأتي بيان ذلك.

أمَّا أغراض القرآنِ فهي لا تقفُ عندَ إثباتِ ما يجبُ الإيمانُ بهِ فقط، بل إنَّ الكشفَ عن فلسفةِ الأصولِ التي يجبُ الإيمانُ بها يُعدُّ من أهمِّ أغراضه، ولو كانَ غرضُه هو إثبات الأُصولِ والأمر بالإيمانِ بها فقط، لم يعرض مسألةَ التوحيدِ بهذا الشكلِ الواسعِ والمتنوِّعِ، ولاكتفىٰ بالأمر به فقط، ومن أغراضِ القرآنِ أيضاً تهيئة النفوسِ لتقبُّلِ الإيمانِ بما أوجبَهُ الإيمانُ به.

الأمر الرابع: في ترتيبِ الأُصولِ ووظيفةِ التهيئةِ:

لقد جاءَ القرآنُ الكريمُ بأُصولٍ إيمانيّةٍ ذات ترتيبٍ معيَّنٍ، يتوقَّفُ المتأخّرُ منها على المتقدِّم، ومن أهمِّ تلك الأُصولِ: التوحيدُ، والنبوّةُ، والإمامةُ، والمعادُ.

وبحسب ما تقدَّمَ من موضعِ القضيّةِ المهدويّةِ من هذه الأُصولِ الإماميّةِ، فإنَّها تقعُ في الترتيبِ ضمنَ مسألةِ الإمامةِ، وأمّا موقعُها التاريخيُّ، فهي تقعُ في أواخرِ الحياةِ الدنيا.

وكان من الطبيعيِّ أن يتعاطىٰ القرآنُ مع هذه القضيّةِ وفقَ موقعِها من أُصولِه، وموقعِها من الأحداثِ.

ولا تردّد في أنَّ القرآنَ في زمنِ نزولِه كان يُولي ما كانَ يعيشه المجتمعُ من تخلفٍ دينيٍّ رعايةً أكثرَ مما يُولي ما يأتي بعد ذلك في الترتيبِ الأُصوليِّ أو الزمانيِّ، فهذا هو المناسبُ للحكمة، ولكنَّه مع ذلك لم يغفل عن إعطاءِ مساحةٍ لا بأسَ بها في تهيئةِ النفوسِ لما هو قادمٌ.

وقد حصل هذا علىٰ مستويين:

الأوَّلُ: تعزيزُ الرابطِ بينَ الأمّةِ والرسولِ ﷺ، عن طريقِ التَّركيزِ علىٰ موقعِ الرسولِ ﷺ منها، لجعلِها طيّعةً فيما يأمرُها به وينهاها عنه، وليكونَ ذلك هو السبيل لإتمامِ المسارِ الإلهيِّ الذي يتعلّقُ بإرادةِ اللهِ تعالىٰ من هذه الأُمَّة، بل من الناسِ جميعاً.

الثاني: تحفيزُ الأُمَّةِ للتطلّعِ إلىٰ ما ستؤولُ إليه الأحداثُ المستقبليةُ، والتنبيه علىٰ وجودِ محطّةٍ خاصّةٍ في الحياةِ الدنيا يتعزّزُ بها موقعُ المؤمنين والصالحين قبل يومِ القيامةِ.

وكان الغرضُ من ذلك إعلام الناسِ بأنَّ اللهَ تعالىٰ لن يُرجئ نصرَ المؤمنين إلىٰ يومِ القيامةِ، ونفي توهُّم أنَّ شأن المؤمنين سيقتصرُ علىٰ مثوبتهم في الآخرة فقط.

وكان لهذا الخطابِ تأثيرٌ في أكثر من جهةٍ من الواقعِ الحياتيّ للمسلمين وخصومهم، فإنّ مثلَ هذا الوعدِ عندما يأتي مع تلك الظروفِ التي كان يعيشها المؤمنون، أو سيعيشونها بعد حينٍ، أي: بعد رحيلِ الرسولِ ﷺ عنهم، له تأثيرٌ نفسيٌّ عظيمٌ.

ومن جهةٍ أخرىٰ، فإنَّ ربطَ الأحداثِ التي كان عليها المسلمون، أو سيكونون عليها بعد حينٍ، بالأحداثِ التي جرت علىٰ من سبقهم من الأُممِ المؤمنةِ المستضعفة، سيُعزّزُ ثقةَ هذه الأُمَّةِ بما هي عليه من الإيمان، وعظم ما هم عليه، من أنَّه هو شأنُ البشرية منذ يوم أن خلقها الله تعالىٰ، ويجعلها تتطلّعُ إلىٰ تحقّقِ هذا الوعد، بل والتطلُّعِ إلىٰ اليدِ التي سيتحقّقُ هذا الوعدُ عليها، أعني: مسألة الإمامة العامّة، أو بتعبيرٍ أدقّ، مسألة وجودِ المهدي.

وهذا هو الذي مهّدَ للأُمَّة أن تتقبّلَ الأحاديثَ التي أخبرَ الرسولُ الناسَ بها عن ظهورِ المهديِّ عجل الله فرجه، وبهذه الصياغةِ الفنيّة - غيرِ المباشرة - أرشدَ القرآنُ الناسَ إلىٰ القضيّةِ المهدويّةِ.

الأمر الخامس: في خصوصية الغَيبة:

وهنا قد يُطرح تساؤلٌ عن علّةِ عدمِ ذكرِ تفاصيل القضية المهدوية بوضوحٍ تامّ، مما قد يسهّل الالتفافَ الشعبيَّ حولها.

والجوابُ: أنَّ الخصوصيةَ الفارقة بين القضية المهدوية العامّة والخاصّة هي قضية الغَيبة، وهي وإن لم تكن داخلةً في أصلِ القضية، فإنَّها نشأت نتيجةً لما آل إليه حالُ الناس تجاه الإمامة، وقد أثبتت الأحداثُ المتعاقبة أنَّ هذا الموقفَ كان من أبرز العواملِ التي أدَّت إلىٰ وقوع الغَيبة واستمرارها، فلو أطاع الناسُ أوامرَ الله في طاعة الرسولِ، وأوامرَ الرسولِ في طاعة الوصيّ، لما كانت الحاجةُ إلىٰ الغَيبة قائمة، ولا اقتضت الحكمةُ امتدادَها.

وعند صرف النظر عن تفاصيل الغَيبة، يمكن القول: إنَّ القرآنَ الكريمَ مهَّد للقضية المهدوية بما ينسجم مع زمن نزوله، وواقع المجتمع الذي خوطب

بـه، دون التصريـح بتلـك الخصوصيـات، بـل عـبر ترسـيخ أصـولٍ إيمانيـةٍ ونفسـيّةٍ تسـمح بتقبّلهـا لاحقـاً عندمـا تُعـرض في السُـنَّة الموثوقـة.

بـل إنَّ القـرآنَ - رغـم عـدم ذكـر الغَيبـة صراحـةً - قـد وضـع لهـا أرضيـةً تمهيديـةً، بـما يتوافـق مـع علـمِ الله تعـالىٰ بـما سـيكون مـن حـال النـاس، لا بـما يُحتمـل فقـط، فـكان تنزيـلُ الهدايـةِ بمقـدار مـا تقتضيـه الحكمـةُ في البيـانِ وترتيـبِ المراحـل.

خلاصة:

إنَّ التعاليـم الإلهيـة في القـرآنِ تتـدرّجُ مـع درجـةِ نضـوج الأُمَّـة، وتُراعـي قابليّتهـا لتحمّـل المسـؤوليات العقديّـة، وكانـت وظيفـةُ القـرآنِ حفـظَ الصلـة بـين الله وعبـاده عـبر تعزيـز موقـع الرسـولِ بينهـم، وتنصيـب مـن يمـدّ تلـك الصلـة بعـده.

فـإذا اكتمـل وعـي المؤمنـين، أُنيـطَ بهـم إقامـةُ أمـر الله عـلىٰ يـد إمامهـم عليه السلام، فيتحقّـقُ للديـنِ مـا شـاء الله أن يتحقّـق، ويبلـغُ مرضـاة الله تعـالىٰ.

وقـد حفـظَ القـرآنُ هـذا الامتـداد، ورسَّـخه في وجـدان الأُمَّـة، ليُـؤدّىٰ كلُّ طـورٍ في ظرفـه المناسـب، ومهّـدَ لختـامِ الأمـر بصيغـةِ وعـدٍ موثـوقٍ، ليظـلّ حيّـاً في نفـوس المؤمنـين، يُقابَـل بطـولِ الأمـل لا بالكلـل، وبالتطلّـع لا بالملـل.

وبعد ما تقدم فهنا فصول:

الفصلُ الأوَّل: القضيَّةُ المهدويَّةُ في القرآنِ:

تمهيد:

إنَّ البحثَ في القضيَّةِ المهدويَّةِ ضمنَ القرآنِ الكريمِ ينقسمُ إلىٰ موردين:

المـوردُ الأوَّل: مـا يرتبـطُ بظهـورِ الإمـامِ المهـديِّ المبـاركِ، وخروجـهِ في آخـرِ الزمـانِ، لنـشرِ ديـنِ الله تعـالىٰ وإظهـارهِ في الأرضِ.

المـوردُ الثاني: ما يتعلَّقُ بشخصِ الإمامِ وشخصيَّتِهِ عليه السلام.

وبناءً عليه تُصنّفُ الآياتُ الواردةُ في القرآنِ الكريمِ والمتعلّقةُ بهذهِ القضيّةِ إلىٰ صنفينِ:

الصنفُ الأوَّل:

الآياتُ التي يمكنُ استظهارُ إشاراتٍ إلىٰ القضيّةِ المهدويّةِ من خلالها، دونَ أن يتوقّفَ هذا الاستظهارُ علىٰ الرجوعِ إلىٰ الرواياتِ الشريفةِ الواردةِ في تفسيرِها، أو تأويلِها.

الصنفُ الثاني:

الآياتُ التي يتوقّفُ استظهارُ دلالتِها علىٰ الرجوعِ إلىٰ الرواياتِ، سواءٌ كانت مرويّةً عن النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله أو عن أوصيائهِ عليهم السلام.

ومن الناحيةِ الفنيّةِ، فإنَّ بحثَ الصنفِ الأوَّلِ يُعدّ من مجالِ التفسيرِ القرآنيِّ المحضِ، أي الذي تقتصرُ مادّتُهُ وشواهدُهُ علىٰ الآياتِ الكريمةِ، دونَ الاعتمادِ علىٰ نصٍّ روائيٍّ، وبذلكَ تكونُ دلالاتُ هذا الصنفِ حجّةً أوليّةً علىٰ جميعِ المسلمينَ، باعتبارِ أنَّ القرآنَ الكريمَ حجّةٌ مشتركةٌ بينهم.

أمّا الصنفُ الثاني من الآياتِ، فإنَّ حجّيَّتَهُ تتوقّفُ علىٰ حجّيّةِ الرواياتِ المفسّرةِ له، ولذا فإنَّهُ يرجعُ منهجيّاً إلىٰ مجالِ الحديثِ والسيرةِ، وإن أمكنَ إلحاقُهُ ببحوثِ التفسيرِ بعد ضمِّ الروايةِ إليه وإثباتِ صحّةِ سندِها، فإنَّ التفسيرَ الروائيَّ معتمدٌ في علمِ التفسيرِ بلا خلافٍ، بشرطِ ثبوتِ صحّةِ النقلِ.

وقد يُستندُ في تفسيرِ هذهِ الآياتِ إلىٰ رواياتٍ مرويّةٍ عن المسلمينَ عامّةً وخاصّةً، فتكونُ حجّةً عليهم جميعاً، أو إلىٰ ما رُويَ عن أئمّةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام خاصّةً، فتكونُ حجّةً علىٰ من يُقرُّ بحجّيّةِ أقوالِهم، إمَّا من جهةِ العصمةِ أو من جهةِ العلمِ والعدالةِ والوثاقةِ التي اعترفَ بها كثيرٌ من أعلامِ الأُمَّة.

نعم، إنَّ التردّدَ - عند غيرِ الشيعةِ - لا يقعُ غالباً في مضامينِ تلك الرواياتِ، بل في الوسائطِ التي نقلتها، مع أنَّ عدداً كبيراً من هؤلاءِ الرواةِ قد

وردت أسماؤُهم في أسانيدِ الأحاديثِ التي صحّحها الجمهورُ أنفسُهم، وقد ذكر السيِّدُ عبد الحسينِ شرفُ الدينِ ﵀ طائفةً منهم في المراجعات، فليرجع إليه من أرادَ التوسّعَ.

ونحنُ في هذا البحثِ نقتصرُ على مضمونِ الصنفِ الأوَّلِ من الآياتِ الكريمةِ، إذ إنَّ قضيّةَ الإمامِ المهديِّ ﷺ بجميعِ متعلّقاتِها ثابتةٌ عند الإماميّةِ (أعزّهم الله تعالىٰ) من طريقِ رواياتِ أهلِ البيتِ ﷺ، وعلىٰ ضوءِ تلك الرواياتِ يمكنُ تفسيرُ عددٍ من الآياتِ بما يدلُّ عليها، إلَّا أنَّ المقصودَ هنا هو الاقتصارُ علىٰ التحليلِ القرآنيِّ المحضِ، بوصفِهِ تأكيداً لمضامينِ تلك الرواياتِ واستظهاراً لإشاراتِها، لا استقلالاً عنها في كلِّ تفصيلاتِها.

إذا تبيَّن هذا التمهيد، ندخل في صلب الفصل الأول، فنقول:

إنَّ قضية الإمام المهدي ﷺ نالت اهتماماً خاصّاً، وذلك لأنَّها تتميّز عن قضايا الأنبياء والمرسلين ﷺ بأحوالٍ ثلاثة:

أحوال القضية المهدوية:

الحال الأوَّل: أنَّ ظهوره وتمكّنه من الأمر سيكون في عموم الأرض، وليس في بقعةٍ خاصّةٍ منها.

إذ لا خلاف في أنَّ الأنبياء جميعاً لم يحصل لهم أن بسطوا حكمهم وأمرهم علىٰ جميع الأرض، ولم يظهر الدين في زمن أيٍّ منهم علىٰ الدين كلّه، بل لطالما واجههم الناس بالتكذيب والخذلان، ولم يخلُ زمان من أزمنتهم من كافرٍ، أو منافقٍ، أو جاهلٍ بأمرهم، أو غافلٍ.

وإذا قيل: إنَّ ذلك البسط علىٰ جميع الأرض قد حصل في زمن نوحٍ ﷺ بعد الطوفان؛ إذ لم يبقَ في الأرض إلَّا من آمن بنوح، وأمّا من كفر به فقد أُهلك.

فالجواب عن ذلك: أنَّ دعوة نوحٍ عليه السلام لم تكن عامّةً في جميع الأرض، فإنَّ من المعلوم أنَّ التنقّل بين القارات المسكونة في الكرة الأرضيّة لم يكن ميسّراً في ذلك الزمان؛ وقد قال الله تعالىٰ في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (هود: ٢٥)، وهذا يشير إلىٰ أنَّه عليه السلام قد أُرسل إلىٰ قومه خاصّة، وليس إلىٰ جميع الناس.

ومن ثَمَّ، فإنَّ الطوفان الذي حدث في ذلك الزمان كان يشمل البقعة الجغرافيّة التي كانت تسكنها الأُمَّة التي بُعث نوحٌ فيها، وشمل الأراضي المحيطة به إلىٰ حين رسوّ السفينة بسلامٍ في بقعةٍ ما؛ فلم يطغَ الماء علىٰ الأرض جميعاً، فشأن الطوفان شأن العذاب الذي نزل علىٰ الأُمم التي حكىٰ القرآن قصصها، فإنَّ العذاب الذي نزل فيها جميعاً كان مختصّاً بتلك الأُمم وفي بقعٍ جغرافيّةٍ معيّنة.

وقد حظيتْ قضية الطوفان باهتمام الحضارات القديمة بوصفها حدثاً مميّزاً، فذُكرت فيما حفظته الوثائق الموثَّقة علىٰ الرُقم والأحجار، كما نالت عناية الكتب السماويّة عندما تحدّثت عمّا جرىٰ علىٰ الأُمم السابقة، ولم يظهر في أيٍّ من هذه المصادر الموثوقة ما يدلّ علىٰ أنَّ الطوفان شمل جميع الأرض، وهذا ما يرجّح أنَّه حصل في بقعةٍ جغرافيّةٍ محدودة، لا في الكرة الأرضيّة بأكملها.

نعم، إذا فُرض أنَّ البشريّة لم تكن قد توسّعت بعد في سكنىٰ الأرض، وكانت تسكن في الديار التي بُعث فيها نوحٌ عليه السلام، يمكن أن يكون حدث الهلاك شاملاً للكافرين، ولم يبقَ علىٰ الأرض بعد الطوفان إلَّا من آمن بنوحٍ عليه السلام.

وهذه الفرضيّة، وإن كانت ممكنة من حيث المبدأ، فإنَّها لا تخلو من نظرٍ، إذ إنَّها تخالف ما استقرّ عليه العلم من قِدَم وجود الإنسان علىٰ الأرض، مع إمكان التوفيق بين ما دلَّت عليه النصوص من كون آدم عليه السلام أوَّل كائنٍ بشري، وبين ما رجّحه العلم في هذا الباب، لكن ليس هنا موضع تفصيل ذلك.

ومن الإشكالات التي تتوجه إلىٰ القول بالطوفان العامّ صعوبة جمع جميع أنواع الوحوش البريّة المعروفة في سفينةٍ واحدة، مهما بلغ حجمها؛ فإنَّ الأمر لا يخلو من كلفةٍ وتقديرٍ هائلين، وأن لا موجب لطغيان الطوفان علىٰ جميع بقاع الكرة الأرضية إذا كان المقصود بذلك أُمَّة من الناس خذلوا نبيهم وجحدوا دعوته.

وليس في النصّ ما يدلّ علىٰ أنَّ المعجزة قد حضرتْ في جمع الكائنات البرية جميعا، بل الظاهر أنَّ نوحاً عليه السلام حمل معه من الدوابّ ما كان يأنس به الإنسان، أو ما كان قريباً من متناوله، أو من الموجود في منطقة الطوفان، لا ما كان في أطراف الأرض البعيدة من أجناس الحيوان البريّ، فضلاً عما في أرضه من حشرات وآفات لا حصر لها، وقد قال تعالىٰ في كيفية حمل ما حمله معه: ﴿حَتَّىٰ إِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠).

ومع فَرْض أنَّ ذلك الطوفان قد شمل جميع الأرض، فإنَّ المؤمنين الذين بقوا بعد الطوفان وكانوا قد ورثوا الأرض، لم تدم وراثتهم للأرض طويلاً؛ إذ سرعان ما فشا الشرك والكفر في ذريّاتهم، ولم يبقَ الدين ظاهراً علىٰ الأرض، قال تعالىٰ في سورة هود: ﴿قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨)، وقال في سورة مريم بعد أن قصّ ما جرىٰ علىٰ الأنبياء السابقين مع أممهم: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

وعلىٰ فرض أنَّ أولئك الذين كانوا مع نوحٍ قد ورثوا الأرض، فإنَّ تلك الوراثة كانت محدودةً وقصيرة، ولا مانع أن تكون - مثلاً -، تمهيداً لوراثة المؤمنين للأرض بشكلٍ مطلقٍ وتامٍّ في آخر الزمان.

ثـمّ إنَّ بحثنـا إنَّـما هـو عـن الآيـات التـي ذكرهـا القـرآن، وجـاء فيهـا الوعـد بـأن يـرث المؤمنـون الأرض، وهـذا الوعـد إنَّـما يكـون في الزمن المسـتقبل بالنسـبة إلىٰ تلـك الآيـات، لا بالنسـبة إلىٰ الزمـن الـذي سـبق ومـضىٰ قبـل نزولهـا، فـكلّ وراثـةٍ لـلأرض كانـت قـد حدثـت وسـبقت ذلـك، لـن تكـون مصداقـاً لتلـك الآيـات التـي جـاء فيهـا ذلـك الوعـد.

والـذي يحسـم الأمـر في هـذه المسـألة: أنَّ القـرآن الكريـم قـد وعـد بظهـور الديـن الإسـلامي عـلىٰ الديـن كلّـه فيـما يُعـدّ مسـتقبلاً بالنسـبة إلىٰ نـزول الآيـة، لا متقدّمـاً عليـه، وأنّ معنـىٰ الوراثـة الحقيقيّـة يكـون في آخـر المطـاف لحيـاة الدنيـا، وأنَّ كلّ وراثـةٍ قبلهـا فإنَّـما هـي وراثـةٌ نسـبيّة، فتنبّـه.

الحـال الثـاني: أنَّ ظهـور أمـرِ المهـدي عليه السلام يكـون في آخـر الزمـان، ولا يكـون بـين ظهـوره ويـوم القيامـة إلَّا أحـداثٌ متعاقبـةٌ تتبـع ظهـورَه المبـارك، وتمـضي في مسـارٍ واحـدٍ ينتهـي بإرهاصـات يـوم القيامـة.

وهـذا الحـالُ خـاصٌّ بالإمـام المهـدي عليه السلام؛ إذ مـن المعلـوم أنَّ ظهـورَ حُكـمِ أحـدِ الأنبيـاء السـابقين لم يسـتمر إلىٰ يـوم القيامـة، بـل مـا مـن أُمّـةٍ إلَّا وأصابهـا شيءٌ مـن الانحـراف عـن هـدي نبيّهـا، وإن تفاوتـتْ في ذلـك زمانـاً وشـدّةً، وسرعـانَ مـا يطغـىٰ التمـرُّدُ في أجيالهـا المتعاقبـة، فتتراجـع عـن مسـيرته، وهـذا معلـومٌ مشـهودٌ مـن أخبـار الأنبيـاء والأُمـم السـابقين.

وهـذا يشـمل حكـمَ النبـيّ صلى الله عليه وآله، ويكفـي لبيـانِ ذلـك النظـرُ إلىٰ حـال هـذه الأُمّـة في العصـور التـي تلـت رحيـلَ النبـيّ صلى الله عليه وآله، ولا أقـلَّ مـن الاطّـلاع عـلىٰ حالِهـا في هـذا الزمـان، فالكثـير مـن الأحـكامِ معطّلـةٌ، والمخالفـات الشرعيّـة منتـشرةٌ، والابتعـادُ عـن أحـكامِ الديـن ظاهـرٌ.

وإذا كانـت السـمةُ البـارزةُ للوعـد الإلهـي هـي ظهـورَ الديـنِ الإسـلامي عـلىٰ الديـنِ كلّـه، فـلا يبقـىٰ مجـالٌ لأن يكـون ذلـك الوعـدُ متحقّقـاً في أيّ مرحلـةٍ مـن

مراحل التاريخ السابقة، بل لابدّ أن يكون ذلك في ختام الدنيا، فإنَّ الدنيا إذا كانت دارَ التكليفِ والبلاءِ والابتلاءِ، وقد انتهىٰ الأمرُ إلىٰ أنَّ الدينَ قد ظهرَ في الأرض، وآمنَ به جميعُ أهلها، فلا شيء بعد ذلك إلَّا أن يمدَّ اللهُ تعالىٰ ملكَهم وحكمَهم ما شاء اللهُ في الأرض، ليكون في ذلك حُجّةً علىٰ جميع الأُمم التي سكنت فيها، ويُختم أمرُ الدنيا بذلك، ومن هنا سُمّي ذلك الزمانُ بآخر الزمان.

الحال الثالث: أنَّ ظهورَ الإمامِ المهدي عليه السلام يكون مقروناً بالعملِ بالأمور الواقعيّة، لا الظاهريّة.

وبناءً علىٰ ذلك، لا يُقبَل إيمانُ أحدٍ إلَّا إذا كان فعلاً قد آمنَ بقلبه، ولا يُحكَم بكفرِ أحدٍ إلَّا إذا كان كافراً فعلاً؛ فلا يكون بين الناسِ إلَّا مؤمنٌ أو كافرٌ، فلا فرصةَ لبقاء منافقٍ، أو جاهلٍ، أو غافلٍ، أو من لا يعنيه الأمر، وهذا لم يكن قد حدثَ طوالَ عمرِ البشريّة بالنسبة إلىٰ علاقتها بالدين، ولا يكونُ إلَّا بعدَ الظهور المباركِ للإمام عليه السلام.

وهذا الاختفاءُ التامُّ للنفاقِ والكفرِ إمّا أن يكون نابعاً من استقامةِ نفوسِ الناسِ في ذلك الزمان، بحيث يكونون من صفوةِ البشريّة الذين صقلهم تاريخٌ طويلٌ من التمحيص، وإمّا نتيجةً لظهور العلمِ الإلهيِّ الذي يمدُّ الله به وليَّه، فيحكم بين الناسِ بما في واقعهم، لا بما يظهرُ منهم؛ فيُجري الأحكامَ علىٰ وفقِ ما يعلمُه الله من سرائرهم، فتُصفّىٰ الساحةُ من كلِّ باطنٍ خبيث، ويتميّز فيها أهلُ الإيمانِ من غيرهم، ويمكن الجمع بين هذين الأمرين.

وإذا كان الله تعالىٰ قد أظهر مثلَ ذلك في زمنِ موسىٰ عليه السلام علىٰ يدِ العبدِ الصالح الذي كان يعمل وفقَ الواقع؛ إذ خرقَ السفينة، وقتلَ الغلام، وأقامَ الجدارَ علىٰ ضوءِ ما كان يستدعيه الواقع، فإنَّ ذلك كان إظهاراً لأمرِ الله، وليَعلَم موسىٰ عليه السلام، ويعلَمَ الناسُ من بعده، أنَّ لله تعالىٰ أحكاماً واقعيّةً، وأحكاماً ظاهريّةً.

وإذا كان موسىٰ عليه السلام يعمل بحسبِ الظاهر، فإنَّ الله تعالىٰ أن يأمر بعضَ عبادِه وجنودِه أن يعملوا ببعضِ الأحكامِ الواقعيّة، بحسبِ ما في علمِ الله تعالىٰ من حِكمٍ ومصالح.

وبناءً علىٰ لحظِ تلك الأحوالِ الثلاثة، يمكن اكتشافُ المعلمِ الأوَّل من معالمِ القرآن بالنسبة إلىٰ القضيّةِ المهدويّة؛ فإنَّ ما جاء في القرآن، وكان الحديثُ فيه عن حالِ الدينِ وحالِ المؤمنين، ولم يكن ينطبق علىٰ زمنٍ من الأزمنة الماضية، فلا مجالَ - مع الإيمانِ بصدقِ القرآن، وصدقِ وعدِ الله تعالىٰ - إلَّا للإيمان بوقوعِ ذلك في مستقبلِ الأيام.

وإذا كان الله تعالىٰ قد أظهر بعضَ ملامحِ ذلك الزمانِ في أُممٍ قد مضت، فإنَّما هو ليكونَ فيها مثالاً يُضرَب لحالِ المؤمنين في آخرِ الزمان، فإنَّ الله تعالىٰ يضربُ الأمثالَ ليكونَ فيها للناسِ آية، ولا يستوحشون ممّا قد يسمعونه، أو يرونه من أحوالِ آخرِ الزمان.

لكنّ تلك الملامحَ التي يضربها الله مثلاً، لن تكونَ إلَّا في نطاقٍ زمانيٍّ ومكانيٍّ ضيّق؛ إذ لا يُراد بها إلَّا التمثيل، ولا يكون ذلك مبسوطاً في المكانِ والزمانِ إلَّا في آخرِ الزمان.

ولكن هذا الكلام لا يتمُّ إلَّا إذا قرنَّاه بفكرة أن أمر الله تعالىٰ لا يقوم إلَّا بجعل وتعيين من يقوم به، من أول قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، مروراً بقوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣)، وقوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦).

فهذا الارتكاز المتحقق من الآيات التي تقدم ذكرها بخصوص ظهور الدين على الدين كله، والآيات الكثيرة التي أناطت الهدىٰ بأشخاص مؤهلين له، هو الذي مهد للنبي صلى الله عليه وآله أن يخبر الناس بوعد الله تعالىٰ بظهور المهدي عليه السلام.

الفصل الثاني: آيات الوعد الإلهي:

إذا تبيَّنتِ الأحوالُ التي تكون حافّةً بظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان، وفق ما يعتقده المسلمون عامةً، فإنَّ هناك جملةً من الآيات لا تنطبق إلَّا علىٰ الوعد الإلهي بذلك الظهور، ومن تلك الآيات:

الآية الأولىٰ:

في سورة الصف، ومثلها في سورة التوبة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣؛ الصف: ٩).

فإنَّ هذا الظهور - أي: ظهور الدين الذي جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله علىٰ الدين كلّه - لم يتحقّق إلىٰ اليوم، ولابدّ من تحقّقه في مستقبل الأيام، ولن يكون ذلك إلَّا في آخر الزمان، أي الزمان المتّصل بيوم القيامة، كما بيّنّاه فيما تقدّم.

الآية الثانية:

في سورة النور، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

وهـذه الآيـةُ لم تتحقّـق بعـد أيضـاً، فـإنَّ المؤمنـين لم يُسـتخلفوا في الأرض، ولم يتمكّنـوا مـن دينهـم الـذي ارتضـاه اللهُ تعـالىٰ لهـم، ولم يُسـتبدل خوفُهـم بالأمـن، ويظهـر ذلـك عنـد ملاحظـة واقـع المؤمنـين في الأرض في كلّ المراحـل التاريخيّـة الماضيـة إلىٰ يومنـا الحـاضر.

وإذا قيـل: إنَّ هـذه الآيـة تشـير إلىٰ جماعـة معيَّنـة في زمـنٍ معـينٍ سـابق، فيمكـن الجـواب عـن ذلـك بـأنَّ في الآيـة بيانـاً لسـنة الاسـتخلاف والتمكـين، كـما في قولـه: ﴿كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِيـنَ مِـنْ قَبْلِهِـمْ﴾، ولا يظهـر أنَّ هـذه السُـنَّة قـد وقفـت عنـد أُمَّـة وانتهـت، فـإنَّ هـذا لا ينسـجم مـع السـنن الإلهيـة التـي لهـا دوافـع باقيـة، فـإنَّ خـوف المؤمنـين وعـدم تمكّنهـم مـن أمرهـم لم ينتـهِ، لينتفـي بذلـك الحاجـة إلىٰ مثـل هـذا الوعـد.

وإذا قيـل: إنَّ الله تعـالىٰ قـد جعـل المؤمنـين خلفـاء في الأرض، اسـتناداً إلىٰ قولـه تعـالىٰ: ﴿وَهُـوَ الَّذِي جَعَلَكُـمْ خَلَائِـفَ الْأَرْضِ وَرَفَـعَ بَعْضَكُـمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِيَبْلُوَكُـمْ فِي مـا آتَاكُـمْ﴾ (الأنعـام: ١٦٥).

فإنَّـه يقـال: إنَّ هـذا يـدلّ عـلىٰ تحقّـق الاسـتخلاف في سـياق الابتـلاء العـام للإنسـان، وليـس في سـياق التمكـين الدينـي والعبوديّـة الآمنـة التـي تضمّنهـا الوعد.

أمَّـا الوعـد الـذي جـاء في الآيـة المتقدّمـة، فـلا يكـون مجديـاً إلَّا إذا تضمّـن حيـاة دائمـةً مـن التمكـين والأمـن، والـذي يشـهد عـلىٰ أنَّ هـذا الوعـد ليـس مؤقّتـاً بحيـث يـزول بتمكّـن الكافريـن، مـا دلَّـت عليـه الآيـة الأخـرىٰ في سـورة النمـل: ﴿أَمَّـنْ يُجِيـبُ الْمُضْطَـرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِـفُ السُّـوءَ وَيَجْعَلُكُـمْ خُلَفـاءَ الْأَرْضِ﴾ (النمـل: ٦٢).

فـإنَّ هـذه الآيـة، وإن جـاءت في سـياق الاسـتفهام الإنـكاري الموجَّـه للمشركـين، فإنَّهـا تتضمَّـن بيانـاً لقـدرة الله تعـالىٰ عـلىٰ أن يسـتخلف عبـاده الصالحـين

في الأرض، وتشير صيغة المضارعة ﴿يَجْعَلُكُمْ﴾ إلىٰ إمكان استمرار هذا الجعل ودوامه فيمن استجاب لله، فتكون بشارة ضمنيّة بحالٍ من الاستخلاف التامّ لا يزول، يتحقّق في مستقبل الزمان.

الآية الثالثة:

في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وهذه الوراثةُ لم تتحقّق كذلك، ولعمري، فإنَّ ذلك واضحٌ لا يعاند فيه ولا يغالط إلَّا مكابر.

وينبغي التنبيه هنا إلىٰ أنَّ إشارة القرآن إلىٰ وجود مثل تلك البشارة في الزبور، تكشف عن أنَّ الله تعالىٰ قد حفظ ذلك النصّ عن التحريف - ولو في الجملة - لتبقىٰ هذه الإشارة القرآنية محفوظة، ويمكن الرجوع إليها، والاستشهاد بها، لتكون حجّة علىٰ المسلمين، وعلىٰ أهل الكتاب.

وإذا راجعنا الزبور، الذي هو كتاب داود عليه السلام، ويُسمّىٰ بالمزامير، نجد أن المزمور ٣٧ يتحدّث عن ذلك، ومما جاء فيه:

(كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ، وَلاَ تَغَرْ لِفِعْلِ الشَّرِّ؛ لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ يَكُونُ الشِّرِّيرُ، تَطَّلِعُ فِي مَكَانِهِ فَلاَ يَكُونُ. أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ... الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكُمَّلِ، وَمِيرَاثُهُمْ إِلَىٰ الأَبَدِ يَكُونُ... لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ، وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ).

فالنصّ ظاهرٌ في الحديث عن وراثة الأرض، وأهلُ الوراثة فيه هم المتّصفون بالإيمان والانتظار والصلاح، دون الأشقياء والمفسدين.

الآية الرابعة:

في سورة الأنفال: ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٧-٨).

وهذا الوعدُ لم يتحقّق بعد أيضاً؛ فإنَّ دابرَ الكافرين لم يُقطع بعد، ولم يُبطل الله تعالىٰ الباطل كلَّه إلىٰ الآن، رغم ما نشهده من تكرار المواجهة بين الحقّ والباطل، وتداول الانتصار الظاهري بين أطراف الصراع.

الآية الخامسة:

في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ (الصف: ٨).

وهذه الآية تُبرز المواجهة الدائمة بين أهل الباطل ونور الله الذي يتمثَّل في دينه الحقّ، وقد وعد الله بإتمام نوره رغم محاولة الكافرين إطفاءه، وهو ما لم يتحقّق بعد في صورةٍ نهائيّة شاملة.

الآية السادسة:

في سورة يونس: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (يونس: ٢٠).

وهي تشير إلىٰ الانتظار المرتبط بالغيبيّات الإلهيّة التي لم تقع بعد، ومنها الوعد بالظهور؛ فالنصّ يُعزّز ثقافة الانتظار القرآنيّة التي ترتبط بتحقّق أمر الله المستقبلي.

الآية السابعة:

في سورة النحل: ﴿أَتىٰ أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١).

وهي تحمل الوعيد والتحذير من الاستعجال في أمرٍ قضىٰ الله بوقوعه، لكنه لمّا يتحقّق، وفي ذلك إشارة إلىٰ أمرٍ موعودٍ قادم لا ريب فيه، ومنه الظهور المبارك.

خلاصة قرآنية حول الوعد الإلهي:

هذا ما جاء من الآيات التي تحدَّثت عمّا يرتبط بالقضيّة المهدويّة، والتي تُبرز أنَّ الله تعالىٰ وعد بأن يُظهر أمره ودينه في آخر الزمان، ويستخلف المؤمنين في الأرض، ويُبطل الباطل، ويتمّ نوره، ويُحقّ الحقّ، ويقطع دابر الكافرين، ويورث عباده الصالحين الأرض.

وما دام هذا الوعد لم يتحقّق بعدُ، ولأنَّ وعد الله تعالىٰ لابدّ أن يتحقّق - إذ لا يُخلف الله الميعاد - فلا محيص من وقوعه في زمانٍ لاحق، هو آخر الزمان، الزمان الذي يسبق يوم القيامة، ويكون خاتمةً لمسيرة التكليف والامتحان الإنساني في الأرض.

وإذا قيل: إنَّ هذا يقتضي استمرارَ نزولِ الوحي، وعدمَ انقطاعِ النبوّة، والحقُّ أنَّ الوحيَ والنبوّةَ قد انقطعا برحيلِ النبيّ ﷺ، فهو خاتمُ النبيّين.

فالجواب: إنَّ الملائكةَ لا تتنزّلُ بالوحي النبويّ فقط، ولم تقلِ الآيةُ إنَّها تنزلُ بالوحي في ليلةِ القدر، بل قالتْ: إنَّ الملائكةَ تنزلُ بالأمر، وهذا لا يقتضي أن يكونَ من تنزلَ عليه نبيّاً. فإنَّ لفظَ (الأمر) في القرآن لا يختصّ بالتبليغِ التشريعي، بل يشمل التدبيرَ الإلهيَّ لأمورِ العبادِ والبلاد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (السجدة: ٥)، وهو ما يجعل المتلقّي لهذا الأمرِ في مقامٍ من الخطورةِ والاختصاص، لا يليقُ إلَّا بمن كان حجّةً لله علىٰ خلقه، محيطاً بالحكمة، معصوماً عن الزلل.

وفي هذا السياق، يجدر الإلفات إلىٰ أنَّ الوحيَ في القرآنِ ليسَ علىٰ قسمٍ واحدٍ، بل هو علىٰ قسمين: وحيٌ نبويٌّ خاصٌّ بتبليغِ الرسالة، ووحيٌ غيرُ

نبويّ لا يقتضي نبوّةً ولا تشريعاً، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ (القصص: ٧)، و﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل: ٦٨)، وليس الغرض هنا بيانَ أقسامِ الوحي تفصيلاً، بل الإشارةُ إلىٰ هذا التنويع من باب الردّ علىٰ دعوىٰ انحصار التنزّل بالأنبياء وحدهم.

ثمّ إنَّ الملائكةَ إذا كانتْ تتنزّلُ في ليلةِ القدرِ من كلِّ سنة، ولا تنزلُ علىٰ الإمام، فهي إمّا أن تنزلَ علىٰ فردٍ من الناس، أو علىٰ من يشاءُ اللهُ من عمومِ الناس، أو علىٰ جميعِ الناس. فإنْ كان نزولُها يُعدّ وحياً بالمعنىٰ العام، ومن تنزلَ عليه يُعدّ نبيّاً أو مكلّفاً بتبليغِ أمرِ الله، فهذا نفسُه يردُ علىٰ المعترض، إذ يُثبتُ استمرارَ النبوّة، وهو خلافُ ما سلّمَ به المعترضُ أو أرادَ الدفاعَ عنه. وإنْ لم يكنْ نزولُها علىٰ أحد، فقد عُطّلَ ظاهرُ الآية، وهو غيرُ جائز؛ لأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ (القدر: ٤) ظاهرٌ في استمرارِ التنزّل.

ومع استبعادِ أن تتنزّلَ الملائكةُ علىٰ كلِّ فاسقٍ وكافرٍ وفاجرٍ في الأرض، بل وعلىٰ من لا يملكُ مقامَ الطهارةِ الكاملةِ والولايةِ الشرعيّة، يكونُ تنزّلُها علىٰ الإمامِ المعصوم، وصيِّ النبيّ صلى الله عليه وآله، أولىٰ، بل أليقُ وأحرىٰ؛ لما يقتضيه المقامُ من اختصاصٍ وعنايةٍ واصطفاءٍ إلهيٍّ.

الفصل الثالث: الآيات التي تتعلَّق بأحواله عليه السلام ووجه الحكمة فيها:

إذا كان القرآن لم يشخص الإمام المهدي عليه السلام بهويةٍ شخصيّة خاصة، فلم يذكره باسمه ونسبه وسماته الخاصّة، فهو بلا شك لحكمةٍ إلهيةٍ مقصودة، ومن وجوه تلك الحكمة ما يلي:

الوجه الأوّل: وهو وجهٌ يعمُّ سائر الأئمة عليهم السلام، بلْ يشاركهم فيه عددٌ من الأنبياء، وهو الخوف عليهم من التتبّع والاستئصال من قبل أعداء الدين، والساعين إلىٰ تقويضه في الأرض، فإنَّ ما جرىٰ علىٰ الأنبياء السابقين

من ملاحقةٍ وتنكيلٍ يدلّ علىٰ أنَّ الإعلان عن الشخصيّة الإلهية المنتظَرة كان محفوفاً بالخطر، ولذلك اقتضت الحكمة أن لا يُفصَح عنها تفصيلاً، بل يُكتفىٰ بالإشارة والتلميح.

ومن شواهد ذلك ما وقع في زمان موسىٰ عليه السلام: فإنَّ الله تعالىٰ لم يصرّح بهويّته عند بني إسرائيل، بلْ أوحىٰ إلىٰ أُمِّه بأن تُلقيه في اليمّ إذا خافت عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ (القصص: ٧)، ومع أنَّ فرعون كان قد بلغه خبرٌ عن منقذٍ سيولد في بني إسرائيل، فإنَّ غموضَ هويّته جعله يعمد إلىٰ قتل كلِّ مولودٍ مخافةَ ذلك الخطر، دون أن يظفر به.

ويشبه هذا ما جرىٰ في زمان إبراهيم عليه السلام، كما يُفهم من سيرته، وعلىٰ هذا المنوال.

قد يُقال: إنَّ القرآن قد صرَّح بأنَّ اسمَ النبيِّ صلى الله عليه وآله كان مذكوراً ومعلوماً في الكتبِ السماوية التي نزلت، قال تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦)، وقال تعالىٰ: ﴿الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأنعام: ٧٥١)، وقال: ﴿فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة: ٩٨)، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾ (البقرة: ٦٤١)، علىٰ وجهٍ من وجوه تفسيرها.

إذاً، فإنَّ ذكرَ اسمِ مَن سيأتي ويكون حجَّةً علىٰ الناس في الكتبِ السماوية ليس أمراً بعيداً.

والجواب: إنَّ هذا يرجع إلىٰ خصوصيةٍ في النبيِّ صلى الله عليه وآله، إذ هو مركزُ الاحتجاجِ الإلهي؛ فهو الحُجَّة التي بها تثبتُ حُجَجُ الأنبياءِ السابقين؛ لأنَّ

القرآنَ حُجّةٌ خالدةٌ، بخلاف معاجزهم التي لم تكن خالدة، وهو أيضاً الحُجّةُ التي بها تُثبَتُ كلُّ حُجّةٍ تأتي بعده ﷺ، فإنَّ إثباتَ إمامة أوصيائه إنَّما كان عن طريقه، ولخصوصيّة هذه المركزية التي تحفظُ الحُجَج الماضية وتُثبِتُ الحُجَج اللاحقة، جرىٰ التصريحُ باسمِه، والتبشيرُ بمبعثه.

ولذا تكفَّل النبيّ ﷺ بتعريف الإمام المهدي عجل الله فرجه إلىٰ الناس، حيث قال عنه: «اسمُه يواطئ اسمي»، في إشارةٍ إلىٰ القدرِ المتيقَّن من الحديث، وهو مطابقةُ الاسمِ الشخصيّ، لا الاسمِ المركّب أو الكامل.

وعليه، فإنَّ خفاء اسم الإمام المهدي عجل الله فرجه في النصّ القرآني لا يقدح في وجوده، ولا يضعف الدلالة علىٰ شخصيّته، إذا ثبتت له الصفات التي يُشار بها إلىٰ حجّة الله في الأرض، ويكون المقصود من خفاء الاسم هو صونه من بطش الظالمين، لا رفع ذكره أو إنكار أمره، كما هو الشأن في نظر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

الوجه الثّاني: إنَّ التعريفَ بالإمامِ المهدي عجل الله فرجه يتوقَّفُ علىٰ التعريفِ بسلسلةِ الأئمةِ الذين سبقوه، وبهذا يكونُ الإيمانُ بشخصيّةِ الإمامِ المهدي عجل الله فرجه إيماناً خاصّاً، وما لم يؤمن الإنسانُ بالسلسلةِ التي سبقته، لا يسعه أنْ يؤمنَ به.

والإيمانُ بالسلسلةِ التي سبقته مشروطٌ بالإيمانِ بكلِّ واحدٍ من أفرادِها، وهذا بدوره لا يتحقّقُ إلَّا بالإيمانِ برأسها وأوّلها، وهو أميرُ المؤمنين عليه السلام، الذي رفعَ رسولُ الله ﷺ يدَه يومَ الغدير وقال: «من كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه».

ومثلُ هذا الإيمانِ الخاصّ لا يكونُ جديراً به إلَّا من قدَّم من نفسِه الطاعةَ والاستسلامَ لأمرِ النبيّ ﷺ فيما أمره قبله، ومن جحدَ ذلك حُجبَ عنه ما يتلوه، وحُرمَ منه؛ فلا يكونُ مهيّئاً لتلقّيه، ولا مستعدّاً لقبولِه.

وعليه: فإنَّ من لا يؤمنُ برأسِ هذه السلسلة، وأوّلها، لا تتجلّىٰ الحكمةُ في أنْ يُخبَرَ باسمِ تاليها وآخرها، بلْ قد يكونُ إخبارُه بذلك ذريعةً يُحتَجُّ بها لردّ سائرِ السلسلة، بحجّة أنَّه لو كانَ هؤلاء أئمّةً لذُكروا في القرآن كما ذُكر المهديُّ فيه.

وإذا ذُكروا جميعاً وفقَ الترتيبِ الخاصّ بهم، فإنَّ هذا الذكرَ يستدعي تعقّبَهم، والتنكيلَ بهم، واستئصالَهم من قبلِ أعداءِ الدينِ وخطّ الحقّ الإلهي، كما تقدم في الوجه الأوّل.

وقد يُقال: إنَّ اللهَ تعالىٰ قادرٌ علىٰ حمايتِهم، وحفظِهم، إلىٰ أنْ يقوموا بدورِهم.

فالجواب: إنَّ اللهَ تعالىٰ إنَّما أجرىٰ سننهُ في الأرض، وفي أنبيائهِ وأوصيائه، علىٰ وفقِ النمطِ الطبيعي الذي يحفظُ للإنسانِ اختيارَه، ولا يقهرُه علىٰ الإيمان، وإلَّا لما سمحَ بأنْ يُقتلَ الأنبياءُ السابقون، وقتلُ الأنبياءِ السابقين واقع، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَيَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩١).

الوجه الثّالث: إنَّ ذكرَ المهدي عجل الله فرجه في القرآنِ باسمه، لن يكونَ مانعاً من انتحالِ اسمِه وصفته، وقد تكرّر هذا المشهد في كلِّ عصرٍ وزمان، سواء بالنسبة إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه، أو بالنسبة إلىٰ من له شأنٌ معه بالظهورِ والأمر.

فقد انتحلت شخصيّاتٌ كثيرةٌ أسماءً وصفاتٍ منسوبةً إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه، كـ(المنصور)، و(المنتصر)، و(المهدي)، و(المستهدي)، و(الرشيد)، وما شابهها، بلْ إنَّ الانتحالَ بلغ أسماءً تعلّقت بمن لهم موقعٌ في القضيّةِ المهدويّة، كـ(ذي النفس الزكيّة).

وهـذا الأمـرُ لم يخـلُ منـه حتّـىٰ مـا يخـصُّ أمـيرَ المؤمنـين عليه السلام، فقـد انتحلـت جملـةٌ مـن ألقابِـه وصفاتِـه، كـ(الصدّيـق)، و(الفـاروق)، ونحوِهمـا.

فـإذا ذُكـرَ الاسـمُ في القـرآن مـن غـيرِ قيـدٍ، قـد يكـونُ ذلـك تدعيـماً لدعـوىٰ المُدّعـين، وتسـهيلاً لحـالِ المنتحلـين.

وعليـه، فقـد اقتـصرَ القـرآنُ عـلىٰ ذكـرِ الآيـاتِ التـي تمهّـدُ لتفهّـمِ أحـوالِ الإمـام المهـدي عليه السلام، وتُهيّـئُ النفـوسَ لتقبّـلِ مـا سـيكونُ مـن شـأنِه وأمـرِه، وهـذا مـا سـيأتي ذكـرُه تحـتَ العنـوانِ الآتي إنْ شـاءَ الله تعـالىٰ.

تَمهيداتٌ قُرآنيَّةٌ لِأحوالِ الإمامِ المهديِّ عجل الله فرجه:

إنَّ ممـا يُزيـل وحشـة الاسـتغراب في أمـر الإمـام المهـدي عجل الله فرجه أنَّـه لم يخـرج عـن سـنن الله في عبـاده السـابقين، بـل سـبقت في القـرآن نـماذج مـن أحـوال بعـض الأنبيـاء والأوليـاء، تشـبه في صورهـا أو مقاصدهـا تلـك الأحـوال التـي تميّـز شـخصيّة الإمـام، وتهيّـئ النفـوس لتقبّلهـا دون نفـرة، ولا إنـكار، ومـن أبـرز تلـك السـنن التـي قصّهـا الله في كتابـه:

١. خفاء الولادة وما يكتنفها من ظروف:

حالـة ولادة الإمـام المهـديّ عجل الله فرجه وقعـت في ظـرفٍ خفـيٍّ، اسـتوجب الإخفـاء والسـتر، وهـو أمـر قـد تسـتغربه العقـول لـولا أنَّ الله قـصَّ نظـيره في ولادة موسـىٰ عليه السلام التـي اكتنفتهـا حـالٌ مـن الخـوف والتحفّـظ، إذ قـال تعـالىٰ: ﴿فَـإِذا خِفْـتِ عَلَيْـهِ فَأَلْقِيـهِ فِي الْيَـمِّ﴾ (القصـص: ٧)، ﴿وَلِتُصْنَـعَ عَلَىٰ عَيْـنِي﴾ (طـه: ٣٩).

فـكان الخفـاء في الـولادة مـن مقتضيـات الحفـظ الإلهـي، لا مـن علامـات ضعـف الشـخصية، بـل هـو تمهيـد لرعايـة خاصـة وعنايـة ربانيـة.

٢. نيل الإمامة وهو صغير السن:

إنَّ من خصائص الإمام المهدي عجل الله فرجه أنَّه نال عهد الإمامة وهو في سنٍّ لم تبلُغ الرشد الظاهري، وهذا أيضاً مهَّد له القرآن فيما قصَّ عن حال يحيىٰ عليه السلام إذ قال تعالىٰ: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

فبيَّن أنَّ الكمال العقلي والروحي لا يتوقّف علىٰ السنّ، بل علىٰ الفيض الربّاني إن شاء الله تعالىٰ أن يُنزل علىٰ عبده حكماً في صِغَر سنِّه.

٣. الخوف والتحفّظ والغيبة الوقائية:

غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه ليست خروجاً عن المألوف، بل هي سُنَّة سبق إليها نبيّ الله موسىٰ عليه السلام حين خرج من المدينة خائفاً يترقَّب، حفاظاً علىٰ نفسه من بطش الظالمين، قال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٢١).

وهكذا تكون الغيبة مرحلة وقائية تسبق الظهور الإلهي، لا انقطاعاً عن المهمّة، بل تهيئة لما بعد الانكشاف والعودة.

٤. طول العمر كابتلاءٍ واختبار، لا خرقٍ للسنن:

قال تعالىٰ في شأن نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ (العنكبوت: ١٤).

وليس هذا التحديد العددي إلَّا بياناً لحكمة الله في مقادير الأعمار، وإشارة إلىٰ أنَّ في كل مدةٍ حكمةً، وأنَّ طول العمر قد يكون من أعظم ميادين الامتحان، يُقاس بالصبر لا بالأيام.

وقد يُنبّه علىٰ أنَّ من عمد إلىٰ اقتباس هذا الرقم لتحديد عمر الإمام المهدي عجل الله فرجه أو توقيت ظهوره، فقد غفل عن الأصل المقصود، وهو أنَّ لله في

الأعمار تقديراً خاصّاً، لا يصحّ إسقاطه بالقياس، ولا يُعرف وجهه إلَّا لمن شاء الله له علماً من لدنه، فإنَّ التحديد الوارد في الآية لم يُذكر ليُؤخذ قاعدة، بل ليُظهِر حكمة الله في تفصيل الأزمان والأدوار.

٥. الحضور مع الجهالة، وتأجيل التعرف لحكمة ربانية:

جاء في سورة يوسف عليه السلام أنَّ إخوته دخلوا عليه وهو عزيز مصر، فلم يعرفوه، قال تعالىٰ: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (يوسف: ٥٨).

وهم كانوا إخوته الذين ربّوه، وعاشوا معه في طفولته، ولكنّهم لم يعرفوه لما تغيّر المقام، وتبدّلت الصورة، وكان ذلك حكمة ربّانية عظيمة، إذ لم يُبادِر يوسف بإرسال رسول إلىٰ أبيه وهو في موقع السلطان، مع ما في قلبه من الشوق، بل اختار الانتظار، واتَّبع في ذلك مساراً محكماً فصلته السورة الكريمة تفصيلاً، ليقع التعرف في وقت معيّن شاءه الله تعالىٰ.

فكذلك الإمام المهديّ عجل الله فرجه يكون حاضراً بين الناس، يراهم ويرونه، ولكن لا يُعرَف إلَّا في وقتٍ يُريده الله، فليست الحكمة في الإخفاء فقط، بل في تأجيل الظهور والتعريف لحكمةٍ تتعلّق بالنظام الكوني، لا يعرفها إلَّا المقرّبون من باب العلم الإلهي.

٦. رجوعه من غيبته بعد أنْ ظنَّ الناسُ أنَّه قد هلك:

وقد مهَّد الله تعالىٰ لذلك بقصّة يونس عليه السلام، فقد غاب عن قومه، ومنهم من علم أنَّه أُلقي في البحر، فلم يتوقع نجاته، ومن انقطعت عنه أخباره توهّم هلاكه، ثم عاد إليهم فجأة وهو حيٌّ يُرزق، غير أنَّ بين الغيبتين فرقاً جوهريّاً: فغيبة يونس عليه السلام علىٰ استعجاله ومفارقته قومه قبل أن يُؤمر، كما قال تعالىٰ: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (الأنبياء: ٨٧)، بينما غيبة الإمام المهدي عليه السلام إنَّما هي - علىٰ الأرجح - عقوبة للأُمَّة التي لم تحفظ مقامه، أو أنكرت حقّه، فحُرِمتْ من ظهوره، كما دلَّت عليه بعض الروايات الشريفة،

وهـذا الفـرق يوجـب التفطّـن إلىٰ أنَّ غيبتـه عليه السلام في ذاتهـا ليسـت نقيصـة، بـل هـي مظهـرٌ مـن مظاهـر الرحمـة الإلهيـة مـن جهـة، والتمحيـص مـن جهـة أخـرىٰ.

٧. ظهور أمره بعد غيبة واستضعاف:

وقـد مهَّـد الله تعـالىٰ لذلـك بـما جـرىٰ لموسـىٰ عليه السلام، فبعـد أن غـاب مـدّة مـن الزمـان، وكان مطـارَداً خائفـاً يترقَّـب، عـاد فدخـل عـلىٰ فرعـون في عقر داره، وسـط سـطوته وسـلطانه، وأثبـت الله أمـره، وأيَّـده بالآيـات، حتَّـىٰ أهلـك فرعـون، ونجّىٰ بنـي إسرائيـل بقيـادة موسـىٰ عليه السلام، فالمطـارَد صـار هـو القائـد الغالب، والمسـتضعف أصبـح هـو المسـتخلف.

٨. قيام أمره بالقتل والانتقام:

وقـد مهَّـد الله تعـالىٰ لذلـك بـما أمـر بـه نبيّـه محمـداً صلى الله عليه وآله بعـد أن قويـت شـوكته، وأذن الله لـه بالمواجهـة، وبُيِّنـت لـه حـدود القتـال، فنفّـذ ذلـك حتـىٰ فُتحـت مكّـة، وطُهّـرت الأرض الحـرام مـن الـشرك، وأُرغمـت أنـوف أعـداء الديـن، فـكان هـذا التحـوّل في موقـف النبـيّ صلى الله عليه وآله مـن المسـالِمة إلىٰ المقارعـة شـاهداً عـلىٰ أنَّ المهـدي عليه السلام إذا قـام، فإنَّـه قائـم بالسـيف، لا مداهنـة معـه، ولا هـوادة في أمـره، إذ لا يُنـاط ظهـوره بالدعـوة فقـط، بـل هـو الـذي يُقيـم دعائـم الحـقّ بالسـنان بعـد أن أُقصيـت عـن موضعهـا.

٩. سعة الملك وبسط اليد علىٰ الأرض:

وقـد مهَّـد الله تعـالىٰ لذلـك بـما حـكاه عـن ملـك سـليمان عليه السلام، قـال تعـالىٰ: ﴿قَـالَ رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَهَـبْ لِي مُلْـكاً لا يَنْبَـغِي لِأَحَـدٍ مِـنْ بَعْـدِي إِنَّـكَ أَنْـتَ الْوَهَّـابُ ﴿٣٥﴾ فَسَـخَّرْنا لَهُ الرِّيـحَ تَجْـرِي بِأَمْـرِهِ رُخـاءً حَيْـثُ أَصـابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّـياطِينَ كُلَّ بَنَّـاءٍ وَغَـوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِيـنَ مُقَرَّنِـينَ فِي الْأَصْفـادِ ﴿٣٨﴾ هـذا عَطاؤُنـا فَامْـنُنْ أَوْ أَمْسِـكْ بِغَـيْرِ حِسـابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنـا لَزُلْـفىٰ وَحُسْـنَ مَـآبٍ﴾ (ص: ٣٥-٤٠).

وربَّما يُفهم من ظاهر قوله: ﴿لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أنَّ مثل هذا الملك لا يُعطىٰ لأحد بعده.

والجواب علىٰ ذلك: أنَّ الآيات لا يوجد فيه تصريح باستجابة الله تعالىٰ لهذه الدعاء، كما أجيبت دعوة موسىٰ وهارون عليهما السلام كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: ٨٩)، أو قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ (القصص: ١٦)، وأمثال ذلك، بل انتقلت الآية إلىٰ بيان ما وُهب إليه من الملك.

وعلىٰ القول بأنَّ دعاء سليمان عليه السلام قد أجيب فهو كان مقصوراً علىٰ أهل زمانه، أي: أن لا يشاركه أحد في ذلك الملك في زمن نبوَّته، ليكون علامةً علىٰ صدقه، ومعجزة تؤيد دعوته، والشاهد علىٰ ذلك أنَّه جعل ذلك الملك آية في دعوته لملكة سبأ، فأتىٰ بعرشها، وأظهر بذلك سلطانه، فكان ذلك سبباً في إسلامها وإيمان مملكتها؛ فالمقام مقام إعجاز لا حظرٍ أبدي، وبهذا لا يكون هناك تعارض بين ما جاء في هذه الآية وما روي عن أخبار آخر الزمان وما يظهر فيه من إمكانات وقدرات علىٰ يد الإمام عليه السلام وعلىٰ يد المؤمنين الذين هم معه، فيكون ما جاء في الآية شاهداً علىٰ إمكان تحقق ذلك في الحياة الدنيا، ويكون نموذجاً لما سيكون في آخر الزمان، شأن ذلك شأن الآيات التي تقدم ذكرها جميعاً في أنَّها نماذج قرآنية قُدِّمت لئلا يستبعد المؤمن ما سيُخبَر به عن آخر الزمان، والله العالم.

الختام:

لقد تبيَّن من خلال هذا البحث الموجز أنَّ القرآن الكريم، وإن لم يصرّح باسم الإمام المهدي عليه السلام وصفاته وهويته الخاصة لحكمة ما في ذلك، فقد مهَّد لظهوره المبارك تمهيداً نفسيّاً وعقَديّاً، وبيَّن سمات المرحلة التي سيُبعث فيها،

من خلال جملة من الآيات الكريمة التي بشَّرت بظهور الدين على الدين كلّه، واستخلاف المؤمنين في الأرض، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإتمام النور، ووراثة الصالحين، وكلها لم تتحقّق بعد، ما يدلّ على أنَّها وعدٌ مستقبليٌّ لا يتحقق إلَّا في زمان خاصّ قبيل يوم القيامة.

وقد تمّ عرض شواهد قرآنية على خصوصيات الإمام المهدي عجل الله فرجه من قبيل الغيبة، وطول العمر، والخفاء الوقائي، والظهور بعد الاستضعاف، ونيل الإمامة في صغره، وكلها سننٌ قد ثبت نظائرها في قصص الأنبياء وأولياء الله السابقين، فلا وجه لاستبعادها أو التعجّب منها.

إنَّ القضية المهدوية ليست غريبة عن منطق القرآن، بل هي امتدادٌ طبيعيٌّ لمسيرة الدين الإلهي، وخاتمةٌ لعهد الاستخلاف على الأرض قبل يوم الفصل، وهي لذلك تستند إلى وعدٍ ربانيٍّ لا يمكن أن يُخلف، ويُمهّد لقيام دولة العدل الكبرى على يد بقية الله في أرضه، الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.